طرق التعليم والتدريس في القرآن الكريم

الشيخ الدكتور هاشم عبدالنبي علي
جامعة المصطفى العالمية

Methods of education and teaching in the Holy Quran

Sheikh Dr. Hashem Abu Khamseen
Al-Mustafa International University
Email: hashem_bukhamsin@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الحبيب الأمين محمد وعلى آله الطاهرين

الهدف العام للبحث : التعرّف على طرق التعليم والتدريس في القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام.

الأهداف الخاصة للبحث :

١- التعرّف على طرق التدريس التي أشار إليها القرآن الكريم ، وتوظيفها في التربية والتعليم

٢- التعرّف على الآليات التربوية في القرآن ، والاستفادة منها في عملية التعليم والتعلم

٣- التعرّف على أساليب أهل البيت عليهم السلام في تعليم وتدريس الناس

تمهيد

يُعدُّ ضعف التربية عاملًا أساسيًا من عوامل تخلف التربية والتعليم ، وأصبح العالم الحديث متطور نتيجة تطوير الجانب التربوي والتعليمي، وأكثر نقطة نالت العناية هي طرق التدريس، فقد ولدت فيها نظريات وأُلّف فيها كتب وتخصص بها علماء، وأصبحت عِلمًا يدرسه الطالب لنيل الماجستير. وقد يحسب هذا الموضوع على فلسفة التربية، فإن فلسفة التربية تعمل على: ١- تقديم التعريفات وبيان ما هو من جهة، وكذلك تعمل على ٢- بيان كيف يتحقق الهدف وهي طرق التربية والتدريس (وهو محل بحثنا)، و٣- بيان طرق وأدوات تحقيق الهدف.

وموضوعنا في هذا البحث مخصّص لطرق التدريس، ودلالة اللغة على الطريق تعني وضوح الخطة، واشتمال الطريق على كل ما تحتاج الحركة في هذا الطريق، فهو طريق شامل لخطة متكاملة؛ ولذلك كانت الخطة الكاملة ضرورة في أيِّ نظامٍ تامٍّ، وتُعرف هذه الخطة

بالمنهج، يُقال: منهج التعليم، ومنهج الحكم، ومنهج القضاء، وهكذا [١] ، وإنّ صياغة الاهداف التعليمية واستعمالها يؤدي دورًا مركزيًا وأساسيًا في التدريس، والتعلم، فاذا عُرفِت الأهداف بوضوح أصبحت نماذج ، أو خططًا تساعد على تشكيل عملية التدريس وارشادها ، وتزداد أهمية تحديد الأهداف السلوكية في تخطيط الدراسة [٢].ولطريقة التدريس أثر كبير في تحقيق أهداف التربية. إذ أنّ المعلم لا يعلم بمادته فحسب، وإنّما يعلم بطريقته وأسلوبه اللذين يعكسان شخصيته وعلاقاته مع طلابه، والطالب لا يستطيع أنْ يستفيد من المعلم إذا لم يكنّ له المحبة والتقدير والاحترام. وهنا يظهردور المعلم بوصفه ركنًا من أركان المنهج، لذلك تهتم كثير من دول العالم بأساليب إعداد المعلمين، وتدريبهم، وتوجيههم، وتهيئة الفرص المناسبة لتحقيق نموهم المهني [٣].

ولا يكفي أنْ يكون المدرس ملمًا بمادته التعليمية، محيطًا بتفاصيلها، وإنّما ينبغي أنْ يتبع طرائق التدريس الصحيحة التي تجعل من المادة التعليمية مادة حية للطالب وللمجتمع الذي يعيش فيه. فأصبح التدريس علمًا متخصصًا، وأصبح لكل مادة دراسية طرائقها الخاصة، وأسسها التربوية والنفسية، ووضعت نظريات متعددة وتفسيرات تربوية مختلفة لطرائق التدريس [٤].

والباحث هنا يحاول أنْ يستعين بالمصادر الأكاديمة للتعرف على أهم طرق التدريس ومن بعد ذلك يبحر في الآيات القرآنية والتفاسير باحثا عن رأي القرآن الكريم هنا ، أو عن مستنداتها ، أو عن الإشارات القرآنية نحوها .

(١) السامرائي، فاروق عبد المجيد، مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مكتبة الوفاء، جدة، ١٩٨٦ م، ص ٤٣

(٢) كامل، مصطفى محمود. استخدام ستراتيجية التعلم حتى التمكن في تدريس مفرد في التقويم التربوي لاكساب الطلاب المعلمين مهارات الاختبارات التحصيلية، جامعة طنطا، كلية التربية، مجلة علم النفس، النفس، العدد (٥١)، السنة (١٣)، مصر، ٢٠٠٩ ، ص ٧-١٣.

(٣) حاكم موسى عبد خضير الحسناوي، مفهوم المنهج، ص ٤٣٠.

(٤) عبد الفتاح تركي، مفاهيم اساسية في التربية، الاسكندرية، ص ١٥٣.

تعريف طريقة التدريس:

هي النظام الذي يسلكه المعلم لتوصيل المادة الدراسية إلى أذهان المتعلمين[١] .

أو هي الكيفية ، أو الأسلوب الذي يختاره المدرّس ليساعد المتعلمين على تحقيق الأهداف التعليمية السلوكية، وهي مجموعة من الإجراءات والممارسات والأنشطة العلمية التي يقوم بها المعلم داخل الفصل بتدريس درس معيّن يهدف إلى توصيل معلومات للمتعلمين[٢] .

المحور الأوّل: طرق التدريس التي أشار إليها القرآن الكريم

أوّلًا: طريقة المحاضرة

هي طريقة التدريس التي تعتمد على قيام المعلّم بعرض شفويّ للمعلومات على المتعلّمين دون أنْ يسمح لهم بالسؤال أثناء الإلقاء، وإنّما بعد الانتهاء منه، ويكتفون بمجرّد تلقّي المعلومات دفعة واحدة، وبتدوين خلاصات للمادّة وأفكارها؛ لذا يعدّ المعلّم في هذه الطريقة محورَ العمليّة التعليميّة[٣] .

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤].

ثانيًا: الطريقة الاستنباطية

الطريقة الاستنباطية تنقسم إلى طريقتين متعاكستين ينطبق على كليهما معنى الاستنباط وهو الاستخراج والاستخلاص، الطريقة الأولى تسمّى القياسية أو الاستنتاجية، وتعني تحليل الكليات للوصول إلى الجزئيات. والطريقة الثانية تسمّى الاستقرائية، وتعني جمع الجزئيات واستقصائها للوصول إلى الكليات.

(١) محمّد بن صالح، المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس، نقلًا التدريس طرائق واستراتيجيات، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، ص٥٤.
(٢) التدريس طرائق واستراتيجيات، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، ط١، ٢٠١١م ص٥٥.
(٣) تم الاعتماد في تعاريف طرق التدريس على كتاب (التدريس طرائق واستراتيجيات)، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، نشر جمعية المعارف الإسلامية، ط١، ٢٠١١م، بيروت.
(٤) سورة النحل ، الآية : ١٢٥.

مثال الاستقرائية من الآيات القرآنية: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1].

ثالثًا: طريقة الاستقصاء

مفهوم الاستقصاء:

طريقة تعليميّة منطقيّة تهدف إلى التحفيز للتعلّم الذاتيّ، وتعمل على تطوير قدرات التفكير العلميّ لدى الفرد عبر إعادة المعرفة وتنظيمها وتوليد الأفكار، والاستنتاج وتطبيقها على مواقف حقيقيّة.

مراحل التعلّم بالاستقصاء:

١- الملاحظة: جمع المعلومات حول ظاهرة أو حادثة معيّنة.

٢- التصنيف: تصنيف المعلومات إلى مجموعات معيّنة بينها علاقات من نوع ما.

٣- القياس: التقرير عن ماهيّة الأشياء قياسًا على شيء معلوم لديه.

٤- التنبّؤ: القدرة على تنبّؤ حدوث ظواهر مشابهة مستقبلًا.

٥- الوصف: وصف الظاهرة أو الحادثة أو المادّة وصفًا يميّزها عن غيرها.

٦- الاستنتاج والتعميم: المرحلة الأخيرة من عمليّات الاكتشاف حيث يخلص المتعلّم إلى تعميم يُجمِل فيه جميع العمليّات العقليّة السابقة.

نموذج التعلّم بالاستقصاء من الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٣٣ - ١٣٤.

اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

نموذج التعلّم بالاستقصاء من السنّة :

في كتاب عوالي اللآلي: عن زرارة بن أعين قال: سَأَلْتُ الْبَاقِرَ عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَأْتِي عَنْكُمُ الْخَبَرَانِ أو الْحَدِيثَانِ الْمُتَعَارِضَانِ فَبِأَيِّهِمَا آخُذُ، فَقَالَ: يَا زُرَارَةُ خُذْ بِمَا اشْتَهَرَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَدَعِ الشَّاذَّ النَّادِرَ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي إِنَّهُمَا مَعاً مَشْهُورَانِ مَرْوِيَّانِ مَأْثُورَانِ عَنْكُمْ، فَقَالَ عليه السلام: خُذْ بِقَوْلِ أَعْدَلِهِمَا عِنْدَكَ وَأَوْثَقِهِمَا فِي نَفْسِكَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمَا مَعاً عَدْلَانِ مَرْضِيَّانِ مُوَثَّقَانِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلى مَا وَافَقَ مِنْهُمَا مَذْهَبَ الْعَامَّةِ فَاتْرُكْهُ وَخُذْ بِمَا خَالَفَهُمْ فَإِنَّ الْحَقَّ فِيمَا خَالَفَهُمْ، فَقُلْتُ: رُبَّمَا كَانَا مَعاً مُوَافِقَيْنِ لَهُمْ أو مُخَالِفَيْنِ فَكَيْفَ أَصْنَعُ، فَقَالَ: إِذَنْ فَخُذْ بِمَا فِيهِ الْحَائِطَةُ لِدِينِكَ وَاتْرُكْ مَا خَالَفَ الِاحْتِيَاطَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمَا مَعاً موافقين [مُوَافِقَانِ] لِلاحْتِيَاطِ أو مخالفين [مُخَالِفَانِ] لَهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ، فَقَالَ عليه السلام: إِذَنْ فَتَخَيَّرْ أَحَدَهُمَا فَتَأْخُذُ بِهِ وَتَدَعُ الْآخَرَ[2].

رابعاً: الطريقة التعاونية

التعلّم التعاونيّ، يُعَدّ فيه الطلاب بحيث يعملون مع بعضهم بعضًا داخل مجموعات صغيرة (٢-٦ طلاب) ويساعد كل منهم الآخر لتحقيق هدف تعليمي مشترك ، ووصول جميع أفراد المجموعة إلى مستوى الاتقان، هو طريقة من طرائق التعلّم التي تقوم على مشاركة المتعلّم بفاعليّة في العمليّة التعليميّة ؛ وبمعنى آخر هو الذي يقوم على تشارك كلّ من المعلّم والمتعلّم بأداء العمليّة التربويّة وتحقيق مخرجاتها. أي: أنّه لا يعتمد بشكل وحيد على المعلّم كمصدر أوّل وأخير للمعلومة، بل يعتمد على تفعيل جميع المتعلّمين بجميع قدراتهم العقليّة

(١) سورة الأنعام ، الآيتان : ٧٤ – ٧٩.
(٢) عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، ٤/ ١٣٣ .

والدراسيّة ؛ لذلك، نجد كثيراً من المربّين والمدرّبين يسمّونه (التعلّم النشط).

مثال من الآيات القرآنية:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾(١).

خامسًا: طريقة الاستجواب

وتسمّى طريقة الأسئلة، وهي طريقة قديمة قِدم التربية نفسها، يقوم فيها المدّرس بإلقاء الأسئلة على المتعلّمين . والأسئلة الجيّدة تحتلّ مكانًا بارزًا في العمليّة التعليميّة نتيجة للوظائف التي تؤدّيها، وهي:

١- الكشف عن ميول المتعلّمين وإثارتها وتوجيهها.

٢- تنمية اتّجاه المتعلّمين نحو حبّ العلم والرغبة في الاستزادة منه.

٣- الكشف عن مدى فهم المتعلّمين وصحة معلوماتهم وأفكارهم، وتعويدهم على التفكير السليم.

مثال من الآيات القرآنية:

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(٢).

سادسًا: الحوار والمناقشة

هي عبارة عن حوار بين المعلم والمتعلمين للوصول بهم تدريجيًا إلى الكشف عن حقيقة لم يعرفوها من قبل، وتتم هذه العملية عن طريق الاستجواب فهي عبارة عن مجموعة من الأسئلة المتسلسلة والمترابطة تُلقى على المتعلمين بغرض مساعدتهم على التعلم .

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ١١٢-١١٣.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٣.

هذا النوع من الحوار الذي يكون موضوعه التعليم والتلقين يوجد بكثرة لما له من أهمّيّة في تأطير العلاقات التربويّة والتعليميّة.

مثال من الآيات القرآنية

ويمكن التمثيل له في القرآن الكريم بالحوار الذي جرى بين موسى عليه السلام والعبد الصالح (الخضر عليه السلام): ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[1].

سابعًا: طريقة العصف الذهني

هي طريقة لتوليد، أو الحصول على أكبر قدر ممكن من الأفكار، ويركّز فيها على الكمّ وليس على النوع من طريق تداعٍ حرّ للأفكار والخواطر والآراء.

(١) سورة الكهف، الآيات: ٦٥-٨١.

أهداف العصف الذهنيّ: تهدف جلسات العصف الذهنيّ إلى تحقيق الآتي:

١- حلّ المشكلات حلاً إبداعيّاً.

٢- خلق مشكلات للخصم.

٣- إيجاد مشكلات أو مشاريع جديدة.

٤- تحفيز وتدريب تفكير وإبداع المتدرّبين.

مثال من الآيات القرآنية

ونجدها في قصة إبراهيم مع قومه حين حطّم الأصنام فجعلهم جذاذًا إلاّ كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون وحين عادوا وشاهدوا المنظر واستدعوه أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إنْ كانوا ينطقون.

ولو قال: أنا فعلت هذا لما عمل في ذهنهم شيئاً، لكن في العصف والحوار، وصلوا إلى أنّهم نكسوا على رؤوسهم واعترفوا أنّهم ظالمون.

ملحوظة: كما يوجد التعليم بالتمثيل ، أو لعب الأدوار كما في قصة الغراب عندما علّم قابيل الدفن، أو قصة تعليم الوضوء التي قام بها الإمامان الحسنان ، مع الشيخ.

المحور الثاني: آليات عمل المعلم التربوية في القرآن

نريد أنْ نعرض لك أيّها الدراس العزيز نموذجًا ومثالًا من القرآن الكريم يبين طرق التعليم والمواقف أو السلوكيات التعليمية التي لابد للمعلم أنْ يتحلى بها.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا..﴾[1].

(١) سورة مريم، الآيات: ٤١- ٤٥.

إن الآيات الخمس، على وجازتها، تتضمن معالم تربوية يحسن إبرازها في صورة نقاط تتعلق بمهام المعلم وأدواره وآليات عمله، كما تظهر في حوار إبراهيمعليه السلام مع أبيه. ومنها:

١- استدرار عاطفة المتعلم

إنّ تكرار كلمة (يا أبت) أربع مرات في الآيات الأربعة التي توجه فيها إبراهيمعليه السلام بالخطاب إلى أبيه، يدل على أهمّية أنْ يكون تركيز المعلم في أسلوبه التربوي على ما يثير عواطف المتعلمين، ويحرك مشاعرهم الانفعالية الإيجابية نحو الموقف التعليمي.

٢- أسلوب الاستفهام منشط للفكر

﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ؟﴾[1]، هكذا بدأ إبراهيمعليه السلام حواره مع أبيه، وهو ما يسمّيه التربويّون بـ "الإثارة" أو "التمهيد".

٣- ثقة المعلم بنفسه ضرورية

إنّ قوة شخصية المعلم تقوم بالدرجة الأولى على مدى ثقته بنفسه، ومادته العلمية، ورسالته الإنسانية، ونحن نلمس هذا واضحًا في حوار إبراهيمعليه السلام مع أبيه ممّا يلي:

أ- التصريح بأنّ ما عنده من العلم يفوق ما عند أبيه.

ب- استعمال أسلوب التوكيد الذي يعكس ثقته بنفسه، من جهة، ويسعى إلى كسب ثقة الطرف الآخر بما يقوله، من جهة أخرى. ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

ج- تنويع أساليب الخطاب من سؤال، إلى تحفيز، إلى تهديد بالعقاب.

٤- الحلم وسعة الصدر

لا ينجح المعلم في أداء مهمته إذا كان عجولًا، يؤوسًا، مقهورًا. وإنما ينجح بقدر ما يتحلى به من صبر ومثابرة، فهوعليه السلام ينادي أربع مرات: (يا أبت)، وهو أسلوب نداء ترغيبي؛ لأنّ ياء المتكلم في قوله: (يا أبي) أبدلت تاءً. وتكرار النداء بالأبوّة فيه تحنين للقلب الجامد، ومحاولة متكرّرة لاستحضار ملكات السمع والذهن الشاردة، بل قوله له: (يا إبراهيم)،

(١) سورة مريم، الآية: ٤٢.

يؤكد إنّ بينهما أمدًا بعيدًا من الانفصال العقلي والوجداني.

٥- التنويع في أساليب التعليم

المعلم إذا أراد أنْ ينجح في عمله عليه أنْ ينوِّع أساليبه التدريسية مراعاته للفروق الفردية عند الجماعة أو الحالات النفسية عند الفرد، حتى يصل إلى أهدافه. وسيّدنا إبراهيمعليه السلام في هذا الحوار، سعى إلى استمالة والده وكسب ثقته بالسؤال، والتحفيز، والبسط والشرح، والتهديد بالعقاب.

المحور الثالث: أساليب أهل البيتعليهم السلام في تعليم وتدريس الناس

يُعدّ الإمام علي عليه السلام المربي والمعلّم الثاني بعد أستاذه رسول الله ، إذ مارس دوره التعليمي والتربوي في المجتمع الإسلامي، فبدأ بوضع اللبنات الأساسية في كافة ميادين الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وبدأ المسلمون ينهلون من علمه، وبهذا اتخذعليه السلام جانب التدريس كوسيلة لنشر علومه. وهذا ما كان عليه من ذريتهعليهم السلام الذين ساروا على هذا النهج الشريف.

وقد اعتمد آل البيتعليهم السلام عدة أساليب في تعليم وتدريس الناس، أبرزها:

١- الوصف

وردت أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيتعليهم السلام استعملوا فيها الوصف في بيان ما هو غير واضح من أجل إيصال الفكرة، فقد جاء عن الإمام عليعليه السلام في في خطبته المعروفة بالقاصعة، إذ جاء فيها ما نصه : (وقد علمتم موضعي من رسول اللهصلى الله عليه وآله، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل) . كل ذلك يصف القرب ورفيع منزلته.

٢- التمثيل الواقعي للحقائق

عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: (جُعِلْتُ فِدَاكَ مَتَى وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَأَقْبَلَ يَلْتَفِتُ يَمِيناً وَشِمَالًا كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَنَاوَلْتُ عُوداً فَقُلْتُ: هَذَا تَطْلُبُ، قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ الْعُودَ فَنَصَبَ بِحِيَالِ الشَّمْسِ ثمّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ كَانَ الْفَيْءُ طَوِيلًا ثمّ لَا يَزَالُ يَنْقُصُ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ فَإِذَا زَالَتْ زَادَتْ فَإِذَا اسْتَبَنْتَ الزِّيَادَةَ فَصَلِّ الظُّهْرَ ثمّ تَمَهَّلْ قَدْرَ ذِرَاعٍ وَصَلِّ الْعَصْرَ)[١].

ويمثل هذا الأسلوب الجانب التطبيقي في التدريس، أو ما يسمّى بالإطار التجريبي الذي يعتمد التجربة والبرهان على صحة الحقائق وتمثيلها.

٣- تصوير الحالة ضمن الإدراك الحسي والأدراك العقلي

ويتم التعليم والتدريس في هذا الأسلوب عن طريق تصوير الحالة للمتعلم أو المتلقي ليحيط بها.

مثال ذلك: قول الإمام علي عليه السلام: (كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم، فإنه يتسع)[٢].

٤- التكرار: يُعدّ التكرار من طرق التدريس والتعليم التي استعملها أهل البيت عليهم السلام.

مثال ذلك: عندما يكرر الرسول صلى الله عليه وآله كلمة الصلاة، كما في حديثه الشريف: (الصلاة الصلاة اتقوا اللهّ فيما ملكت أيمانكم)[٣].

٥- التفكير

يُعدّ التفكير أحد المكونات الرئيسية للتنظيم المعرفي للفرد، وأهميته تكمن في إعطائه القدرة على امتلاك البيئة وما يحيط بها والتحكم فيها، ويفتح أمامه فرصاً للنجاح، لذا فإن التفكير عملية تنمي العقل الإنساني وتحرره من الجهل والجمود. وقد حث النبي محمّد

(١) تهذيب الأحكام: ٢/ ٢٧.
(٢) الشريف الرضي، ٢٠١٠: ٥٢١.
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، ج١، ص: ٣٧٥.

وأهل بيته عليهم السلام على التفكير.

مثال ذلك: العبارات الكثيرة التي صدرت عن أمير المؤمنين علي عليه السلام والتي منها: (الفكر يهدي) و(الفكر عبادة) و(الرأي بالفكر) و(الفكر رشد) و(الفكر ينير القلب) و(الفكر مرآة صافية)[1].

(١) الشريف الرضي، ٢٠١٠: ٤٢٣.

فاذكروني أذكركم